

الأمريكيون يرمون يمين الطلاق على الميليشيات الشيعية



كما عودتنا الولايات المتحدة الأمريكية في كل مرة بتغير سياساتها الخارجية بشكل سريع، غيرت هذه المرة موقفها من الميليشيات الإيرانية العاملة بالعراق، فقد أقدمت مؤخرًا على تصنيف مليشيا النجباء كمنظمة إرهابية كباكورة لسلسلة من التصنيفات المماثلة ضد ميليشيات إيرانية أخرى قريبًا مثل مليشيا العصاب ومليشيا حزب الله العراقي العاملتان بالعراق.

وتندرج الخطوات الأمريكية الأخيرة ضد هذه الميليشيات، في معرض محاربتها للنفوذ الإيراني في العراق (كما يدعي القادة الأمريكيين بذلك)، لكن من يستعرض تاريخ أمريكا الحديث وبالأخص في منطقة الشرق الأوسط، يجد أنها اتخذت إجراءات مماثلة ضد منظمات عديدة، لكن تلك الإجراءات لم ترتق عند الأمريكيين لمستوى محاربتها يومًا ما، كما قامت بفعل ذلك مع تنظيم داعش مثلًا.

فالولايات المتحدة صنفت حزب العمال الكردستاني (التركي) كمنظمة إرهابية، إلا أن ذلك لم يمنعها من التعامل مع منظمة وحدات حماية الشعوب الكردية السورية والتي هي فرع من ذلك الحزب، بل إن الأسلحة التي تزودها الأخير، تجد طريقها لحزب العمال الذي تصنفه حزبًا إرهابيًا، كما سبق لها أن صنفت حزب الله اللبناني كمنظمة إرهابية إلا إنها سكتت عن كل جرائمه في سوريا وسكتت عن مصادره للدولة اللبنانية وقرارها السياسي.

انتهت أغراض الإدارة الأمريكية من تلك الميليشيات وحقت ما كانت تريده من خلالهم، جاء الدور على تلك الميليشيات ليتم حلها أو ضرب بعضها ببعض لكي يستمر مسلسل إغراق المنطقة بالحروب الأهلية

الأمر الذي يلاحظ على الخطوة الأمريكية الجديدة، أن الأمريكيين يعززون إجراءاتهم تلك ضد مليشيا النجباء، كون الأخيرة مرتبطة بالنظام الإيراني، وهذا النظام يستخدمها في تنفيذ أجنده بالمنطقة، والأدلة على ذلك تصل إلى سنة 2008 عندما ضربت تلك الميليشيا المنطقة الخضراء في بغداد والتي تضم الحكومة العراقية والسفارة الأمريكية، ويحق لنا أن نتساءل: أين كانت الإدارة الأمريكية من جرائم تلك

المليشيات طيلة السنين الماضية؟ ولماذا الآن تُخرج ملفاتها إلى العلن وتصنفها بأنها إرهابية؟ الجواب المقنع الوحيد على ذلك أن تحالفًا خفيًا كان يربط بين الإدارة الأمريكية وتلك الميليشيات من خلال الراعي الإيراني، كون تلك الميليشيات (على اختلاف مسمياتها) مكنت للاحتلال الأمريكي في حربه ضد المقاومة العراقية الشريفة في تلك السنين، وعند ظهور تنظيم داعش في السنوات الأخيرة، كان لا بد من مليشيات مختلفة عنه عقائديًا (ولو في الظاهر) لإدامة الحرب التدميرية في العراق، لكي تكون مبررًا لعودتهم الثانية للعراق، ويبرر دخول قواتها أيضًا لسوريا، وقد كان ذلك بالفعل.

وحيثما انتهت أغراض الإدارة الأمريكية من تلك الميليشيات وحققت ما كانت تريده من خلالها، جاء الدور على تلك الميليشيات ليتم حلها أو ضرب بعضها ببعض لكي يستمر مسلسل إغراق المنطقة بالحروب الأهلية، وهذا يفسر أيضًا صمت الإدارة الأمريكية عن كل جرائم الميليشيات الإيرانية، سواء كانت من مليشيا النجباء أو من الميليشيات الأخرى، وسواء كانت تلك الجرائم في العراق أو سوريا.

الأمر الثاني الذي يلاحظ على الخطوة الأمريكية الجديدة أن قيامها بتصنيف مليشيا واحدة أو أكثر كمنظمات إرهابية، يحمل في طياته شرعنه للمليشيات الأخرى التي لم يطالها التصنيف الأمريكي، فالمليشيات الإيرانية العاملة بالعراق تتساوى كلها في طبيعة إجرامها وولائها الخارجي لإيران وخروجها عن القانون، فلماذا تصف مليشيا بعينها إرهابية وتستثنى أخرى؟ فلو كانت الإدارة الأمريكية جادة فعلاً في حرب مليشيات إيران بالعراق وفي بقية الدول، لاتخذت ذات التصنيف على كل الميليشيات.

ثم ماذا سيكون رأي الإدارة الأمريكية بالجيش العراقي وقوى الأمن الداخلي العراقي؟ وكيف ستتعامل معه وهي التي قامت بنفسها بتأسيسه بعد الاحتلال؟ وكان الأساس في بناء تلك القوى العسكرية هي الميليشيات الإيرانية التي جاءت من إيران بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، وبرعاية وتدريب أمريكي لها، وجعل العراق محكومًا من تلك الميليشيات.

أغلب الظن أنها ستتعامل معها كمؤسسات وطنية حامية للشعب العراقي والدولة العراقية ونحن نعلم أن آخر ما تفكر به تلك المؤسسات (وهي على ذلك الحال من الولاء للمليشياوي لإيران) هو حماية الشعب والدولة العراقية.

لا أستطيع أن أفهم كيف أن الولايات المتحدة تريد إدارة الصراع مع إيران بالعراق من خلال رجلها العبادي وتجعله ورقتها الرابعة وهي تعلم أن هذا الرجل لا حول له ولا قوة أمام سطوة الميليشيات والنفوذ الإيراني المستحكم في العراق

إن الولايات المتحدة الأمريكية بإجراءاتها الأخيرة ضد الميليشيات، تريد أن تُظهر نفسها بأنها فعلاً تحارب النفوذ الإيراني، لذر الرماد في عيون بعض زعماء العرب الذين بذلوا لأمريكا مئات المليارات من الدولارات نظير حربها لإيران، ولو كانت الولايات المتحدة الأمريكية جادة فعلاً في محاربة الميليشيات، لبدأت بحرب إيران نفسها، لا أن تحارب أطرافها، فالشجرة الخبيثة مهما قصت أطرافها ستنبت لك أطرافًا أخرى، فالأولى قص جذورها لا أطرافها، وجذور تلك الشجرة الخبيثة موجودة في طهران لا في بغداد.

لا أستطيع أن أفهم كيف أن الولايات المتحدة تريد إدارة الصراع مع إيران بالعراق من خلال رجلها العبادي وتجعله ورقتها الرابعة وهي تعلم أن هذا الرجل لا حول له ولا قوة أمام سطوة الميليشيات والنفوذ الإيراني المستحكم في العراق، وتصنيفها لبعض مليشيات إيران بالعراق كمنظمات إرهابية، ستجعل العبادي في حرج كبير مع تلك الميليشيات، فهو لا يستطيع انتقاد الإجراء الأمريكي كما فعل في موضوع وصف أبو مهدي المهندس بالإرهابي، ولا يستطيع أن يؤيد ذلك الإجراء لأن ذلك يعني دخوله بحرب صريحة ضد تلك الميليشيات.

والإجراء الأمريكي سيجعل السياسية التي يتبعها العبادي بالوقوف من منطقة الوسط بين النفوذيين

الأمريكي والإيراني، أمرًا مستحيلًا، فالمليشيات تطالب العبادي الآن بتحديد موقفه من التصنيفات الأمريكية، وتتوقع منه أن يكون ضد تلك التصنيفات، لكنه أكثر ضالة من أن يقف بوجه أمريكا ومن أن يقف بوجه الميليشيات وراعيها الإيراني.

إن تخلي الولايات المتحدة عن الميليشيات، يرسخ النظرية التي ترسخت عن الأمريكان، وهو تخليها عن حلفائها حينما تنتهي أغراضها منهم

هل سنصبح في يوم قريب على انقلابٍ للعبادي، ليتحول من رجل أمريكا في العراق إلى رجل إيران كما كان سابقًا؟ فالتجربة مع الراعي الأمريكي لا تنبئ بخير، فلقد تخلوا عن رجلهم في كردستان قبل أشهر فقط لأنه لم يؤجل استفتاءه بعض الوقت، وتخلت عن الميليشيات بمجرد أن انتهت معاركها المزعومة مع داعش في العراق، فكيف للعبادي أن يثق بالأمريكان ويضمن عدم تخليهم عنه واستبداله برجل آخر؟ وهل هذا السبب بالذات هو الذي جعل عمار الحكيم يحسم أمره بنفض يده من الأمريكان واختياره الولاء للراعي الإيراني علنًا دون تردد، وانبرى يدافع عن الميليشيات في معرض رفضه للتصنيف الأمريكي لهم كمنظمات إرهابية.

إن تخلي الولايات المتحدة عن الميليشيات، يرسخ النظرية التي ترسخت عن الأمريكان، وهو تخليها عن حلفائها حينما تنتهي أغراضها منهم، الأمر الذي يجعل ناقوس الخطر يذق عند كل حلفاء أمريكا بالمنطقة، بأن لهم موعدًا مع واشنطن لن تخلّفه أبدًا، هو تخليها عنهم بكل بساطة، ولذلك اليوم ليغدأ أكراد سوريا عدتهم، وليتدبر العرب أمرهم بعد أن سلموا أمريكا خطامهم لتقودهم كيفما تشاء، وهي عبرة للعرب السنة في العراق من أن الأمريكان ليسوا بحلفاء موثوقين، فوالله لن تترك أمريكا أحدًا منهم قد سئمها أمر نفسه، إلا بجعلهم يركعون لسيدا المنطقة الجديدان: "إسرائيل" وإيران.